

المرجع اليعقوبي: حتى لا نَظلم عليّ بن أبي طالب ونُحرم من عطائه



حتى لا نَظلم عليّ بن أبي طالب ونُحرم من عطائه ([1])

يظهر من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وخطبه أنه عاش غربة بين قومه، لجهلهم بمقامه الشريف ونزوعهم الى حب الدنيا التي تزيّنت وتزخرفت بسبب اتساع رقعة الدولة الاسلامية وكثرة وارداتها فانساقوا وراء الشهوات فكان (ع) يوبخ أصحابه ويستعمل كل الوسائل لإيقاظهم واستنهاض همهم ووعي مسؤولياتهم في طاعته (ع) واتباع أوامره، قال (ع) (ايها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأديتُ اليكم ما أدّتِ الأوصياء الى من بعدهم، وأدّسَ بتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوثقوا، □ أنتم! أتتوقّعون إماماً غيري يظأ بكم الطريق ويرشدكم الى السبيل؟

الا انه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً، وأقبل منها ما كان مدبراً، وأزمعَ الرجالَ عبادُ □ الأختيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى، بكثيرٍ من الآخرة لا يفنى) ([2])

وازدادت غربته حينما فَقَدَ خُلَّصَ اصحابه العارفين بفضلِه وسابقتِه الى كل كمال حيث استشهد كثير منهم في صفين فكان (ع) يرتقي منبر مسجد الكوفة ويندبهم اشجى ندبة ويصفهم أجمل وصف فيقول (ع): (ما ضرَّ اخواننا الذي سُفكت دماؤهم -وهم بصفين- ألاَّ يكونوا اليوم أحياءاً؟ يسيفون الغصص ويشربون الرنق! قد -وا- □ لقوا □ فوفَّاهم أجورهم، وأحلَّهم دار الأمن بعد خوفهم أين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ واين ذو الشهادتين؟ واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابدروا رؤوسهم الى الفجرة (ثم ضرب بيده على لحيته الكريمة فأطال البكاء ثم قال) أوَّهَ على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبَّروا الفرض فأقاموه، احيوا السنة وأماتوا البدعة، دُءُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه) ([3]).

وكان (ع) كثيراً ما يتمنى الموت للتخلص من مجاورة اللئام والذهاب الى صحبة الكرام الأحبة محمد وأهل بيته (صلوات □ عليهم أجمعين) وأصحابه المنتجبين، ومن كلماته في ذلك (ولو ددتُ أن □ فرَّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقُّ بي منكم) ([4]) لأنه يرى نفسه يعيش وسط حثالة لا يذكرون الا بالذم قال (ع) (أين أختياركم وصلحاؤكم واين أحراركم وسمحاؤكم! واين المتورعون في مكاسبهم. والمنتزَّهون في مذاهبهم؛ اليس قد طعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصَّة، وهل خُلِّفتم الا في حثالة، لا تلتقي الا بدمِّهم الشفتان، استمغارا لقدرهم، وذهابا عن ذكرهم؛ فإنَّ □ وإنا اليه راجعون.) ([5]).

وكان يأسف (ع) أن ينفصَّ الناس عن الهدى المتمثل به ولا تبقى تحت سيطرته من رفة الدولة الاسلامية الكبيرة الا الكوفة فيقول (ع) (ما هي الا الكوفة، أقبضها وابسطها، إن لم تكوني الا أنتِ، تُهبُّ

ويستغرب منهم حين يعصونه وهو الحق بينما يتفانى اصحاب معاوية في طاعته وهو إمامهم الى الضلال فيقول (ع) (صاحبكم يطيع انا وانتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي انا وهم يطيعونه لَوَدِدْتُ وَاَنَا أَنْ مَعَاوِيَةَ صَارْفَنِي بِكُمْ سِرْفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ. وَأَنِّي لَعَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَمَنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي، وَإِلَيَّ لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبُ لِقَطَا) ([7]).

ويسبب ذلك فقد تنبأ بضياغ دولتهم ونجاح دولة معاوية فقال (ع) (وَإِنِّي وَأَنَا لِأُظَنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ سَيَدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِيَّامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ). ([8])

وقال (ع) (أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم اولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي) ([9])

وكان كل أسفه (ع) لانه يعلم بحقائق الامور وعواقبها ومصير كل فريق وهو الفائل (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً) ولكن أنى لتلك القلوب القاسية والعقول المغلوبة بالهوى أن تبصر بعين الحقيقة قال (ع) (ولو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذاً لخرجتم إلى الصُّعْدَاتِ تَبْكَونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدْمُونَ صَرْبَ الصِّدْرِ لِلنِّيَاحَةِ - عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلْتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالَفَ عَلَيْهَا - وَلِهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِي نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمْنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشْتَتَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ). ([10]) فأسفه وحسرتة كانت امتداداً لقول انا تبارك وتعالى (يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعَبِيدِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

هذه بعض كلمات أمير المؤمنين نقلناها لنحسّ - بمشاعره (عليه السلام) في غربته حتى كان يقول وهو يشير الى صدره المبارك (إن هاهنا علماً جماً لو أصبت له حملة) لكن ا

صحابه ضيّعوه ولم يعرفوا قدره ولم يستفيدوا منه فظلموا أنفسهم وظلموه إذ حرموه من أن يقدم عنده قال (ع) (ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعائتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي) ([12])

وعليّنا - نحن شيعة علي (ع) - اليوم ان لا نظلمه كما ظلمه أصحابه وان لا نحرم أنفسنا من عطائه كما فعل أصحابه، فانه وان غاب بشخصه الشريف عنا، الا انه حاضر بيننا بكلماته ومواعظه وخطبه وسلوكه وسيرته وعلمه وجهاده وإخلاسه وإيثاره وفنائه في □ تبارك وتعالى وغيرها من الكمالات.

ولنستفد من كل ذلك وكأنه (ع) يتحدث إلينا مباشرة ويجسّد تلك الفضائل والكمالات التي نقلتها الروايات وكأنه يعيش بيننا. وهذا يحتاج الى صحو وانتفاضة على واقعنا المر بابتعادنا عن (نهج البلاغة) وكل الآثار الشريفة التي سجلت مآثر وآثار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ويكون ذلك من خلال عدة خطوات عملية حتى لو حصلت تدريجياً بحسب الاستطاعة.

1- اهتمام الخطباء والمبلغين والوعّاط بنصوص نهج البلاغة فيفتتحون بها مجالسهم ويعتنون بشرحها واستخلاص الدروس منها وبيان ما تضمنته من حقائق ومعارف وعلوم، وهذا ما كنّا نعهده من السلف الصالح وقد ذكر جدّي لأبي الشيخ محمد علي اليعقوبي (رحمه □ تعالى) في ترجمة أخيه الشيخ مهدي (رحمه □

تعالى) وهو جدي لأمي في كتاب الباليات أنه (لا أبالغ إذا قلت أنه كان يحفظ ثلاثة أرباع نهج البلاغة عن ظهر قلب)

2- ان يلتزم كلُّ منا بإمعان النظر في نهج البلاغة وغيره من الآثار التي سجلت كلمات أمير المؤمنين كـ (غرر الحكم) للآمدي و (تحف العقول) وغيرها كلما سنحت له الفرصة من دون إهمال أو تضييع ويستذكر تلك المعاني الجليلة ليحيي بها قلبه وينوّر بصيرته ويصحّح طريقة حياته وهو القائل (ع) (إنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهادٍ وعفّةٍ وسدادٍ)[13]

3- تشجيع الكتاب والمثقفين على استلهاهم جوانب العظمة التي أودعها أمير المؤمنين في كلماته وسيرته وتصنيف المواضيع التي تعرّض لها أمير المؤمنين (ع) فقد تضمن نهج البلاغة معالجة قضايا عقائدية واجتماعية وأخلاقية وفلسفية وإنسانية واقتصادية وله (ع) السبق في السياسة والحكم وولاية أمر الناس والقضاء والفتوى وغيرها من المواضيع التي لو عكف عليها الباحثون والمتخصصون لا تحفوا البشرية بانجازات رائعة ونذكر منها كتاب (الامام علي (ع) وحقوق الإنسان) الذي نال به الباحث درجة الدكتوراه بامتياز في كلية العلوم السياسية وطبعناه تكريماً له، وهذا غيضٌ من فيض ما ترشح عن أمير المؤمنين (ع) وكذا كتاب (الراعي والرعية) في شرح عهده (ع) لمالك الاشر لما ولاّه مصر و (علي بن أبي طالب: صوت العدالة الإنسانية) وغيرها.

4- انشاء مكتبة متخصصة بآثار أمير المؤمنين (ع) وما كُتب عنه والدراسات والبحوث التي تناولته وتجهّز بأحدث الوسائل في تقنية تبادل المعلومات والاتصالات.

5- انشاء فضائية خاصة بعلي بن أبي طالب (ع) تبيّن فضائله ونشر علومه ومعارفه وتصوّر مراحل حياته الشريفة وما أُثّر عنه وتعدّد الندوات والحوارات عنه (ع) وإجابة الأسئلة وغيرها.

6- السعي الجدي لدى إحدى الجامعات العالمية الرصينة لتخصيص كرسي للدراسات عن علي بن أبي طالب تحتضن الباحثين والدارسين وتمنح الشهادات الجامعية العليا وتستقبل البعثات الدراسية من الطلبة المتميزين من انحاء العالم للتخصص في هذا المجال.

انني لا ابتغي بوضع هذه الخطوات العملية مجرد تسطير الكلمات وحشو الصفحات وإنما لنسعى جميعاً وبكل جدية ومصداقية وهمية عالية لانجازها حتى نشهد نهضة عالمية تخرجنا من حد التقصير في حق أمير المؤمنين(ع) ولا نكون كالذين ظلموه وحرموا أنفسهم من عطاءه المبارك. كما وعى المسلمون غربة القرآن وهجرانه وشكواه وحرمانهم بتضييعه فعادوا إليه وانشئوا الجامعات والمحافل لتلاوته ودراسته والاستفادة منه والتخصص في علومه وغيرها.

إن إقامة المواليد وفعاليات الفرح في مثل هذه الذكريات العطرة اعني ذكرى ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) غير كافيةٍ للتعبير عن الاحتفال الواعي الرسالي بهذه المناسبات، نعم هي تمثل تعبيراً عن مستوى من المجتمع فالإكتفاء بها غير صحيح مالم يقترن ببعض الخطوات التي ذكرناها، واكل ما يجزي فيها أن نتصفح كتاب نهج البلاغة ونستلهم منه ما يقدر الله تبارك وتعالى لنا من رزق؛ كما انني تصفحته في ذكرى الميلاد الميمون وخرجت بالنصوص التي افتتحت بها كلمتي هذه.

وتأتي بعد ذلك الخطوة التي مرت بالرقم (2) لأن من يسمع بأنك من شيعة علي (ع) فانه يتوقع أن يرى فيك أخلاقه وسيرته وسموه، وبهذا الصدد نقل لي صديق مهندس كان مقيماً في ألمانيا انه وعائلته زار صديقاً عراقياً اسمه (علي) كان متزوجاً من ألمانية لغرض الحصول على الجنسية الألمانية بحسب قوانينهم، وكان يتوقع ان لا يجد المرأة الألمانية بالصفات المرغوبة لأن هذا الرجل لم يتزوجها الا للغرض المذكور ولكنه رآها فوق ما يتصور وسألها عن سر قبولها بهذا الفتى مع عدم وجود المرغوبات الكافية فأج

ابت أنها تزوجته لأنها تريد أن تعرف الإسلام من خلاله.

هكذا ينظر الآخرون الى المسلمين والى شيعة علي (ع) خاصة وهذا يلزم كل واحدٍ منا بمسؤولية مضاعفة ان نكون عند حسن ظن نبينا وإمامنا (صلوات الله عليهما) وعند حسن ظن من أحسن بنا الظن.

إن إحداث مثل هذه الصحوه العالمية لنشر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وآثاره وعلومه ومعارفه كفيلة باصلاح البشرية وإعادة مسيرتها إلى الطريق الصحيح وستساعدنا على حلّ عقدها المستعصية ومشاكلها التي قادتها إلى اليأس والانتحار وستفتح أمامها آفاق حياة سعيدة بإذن الله تعالى.

---

[1] من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع وفد من القرية العصرية في مدينة الناصرية يوم 8/رجب/1429 المصادف 12/7/2008 ومن حديث سماحته مع حشد من مسؤولي منظمات المجتمع المدني المنصوبة تحت هيئة (همم) في محافظة ذي قار يوم 15/رجب/1429 وضيوف آخرين في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام)

[2 و 3 ) نهج البلاغة من الخطبة (182).

[4] نهج البلاغة ، الخطبة (116).

[5] نهج البلاغة ، الخطبة (129).

[6] نهج البلاغة ، الخطبة (25).

[7] نهج البلاغة ، من الخطبة (97).

[8] نهج البلعة من الخطبة (25).

[9] نهج البلاغة ، من الخطبة (97).

[10] نهج البلاغة ، من الخطبة (116).



[11] يس/30.

[12] نهج البلاغة، من الخطبة (97).

[13] نهج البلاغة، رسائل الامام، من كتاب له (ع) الى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه